**لا أستطيع تذكر اول يوم في الحرب يبدو مشوشا بالنسبة لي، هو يشبه أيام الموت الحزينة التي تلتهم قلبك وعاطفتك وذاكرتك وكلما تذكرت الحرب لمعت ليالي طويلة ومظلمة بدون كهرباء، وارتفع صوت تحليق للطيران ، وعادت إلي نظراتنا الصامتة والمتبادلة ونحن نحاول أن نخمن من سيموت ومن سيبقى حيا وحيدا وحزينا.**

**في منزل العائلة كنا عشرة اشخاص انا وامي وابني واشقائي الثلاثة، زوجة اخي وأربع صبايا صغيرات هن بنات أخي.**

**كنا نبدو كعمال المناجم نضع كشافات للضوء فوق رؤوسنا نتحرك بحذر عند غروب الشمس ننتقل الى سطح المنزل للنوم هناك.**

**يبدو الامر خطيرا ومجازفة حمقاء لكن بعد تفكير عميق بدا لنا ان الموت فوق سطح المنزل أسهل وألطف من الموت تحت أنقاض منزلنا المكون من ثلاثة أدوار.**

**بدأ وضعنا الاقتصادي بالتدهور وكنت كل ليلة أتذكر وجه ابي وهو يضع لوح الشكولاتة تحت وسادتي برفق كي لا اصحو أتذكر هذا وانا اشعر بجوع لم أعتده من قبل، ربما كانت طريقة نومي متكومة بجوار ابني السبب في ذلك.**

**كنا نضع باب السطح مفتوحا وكلما باغتنا صوت الطيران انتشلنا الأطفال وقمنا بالركض كان هذا يحدث تلقائيا حتى صار الأطفال لا ينتظرون ان نحتضنهم لنهرب ويقفزون قبلنا ثم تبدأ رحلة الدموع والبكاء خوفا بعد سماع صوت ارتطام الصاروخ.**

**في أحدى المرات نسينا ان نثبت الباب جيدا وقامت الرياح بإغلاقه و سبب هذا صوت ارتطام كبير جدا ، قمنا مفزوعين وكأن الصاروخ قد سقط في احضاننا وحين ارتطمنا بالباب المغلق واكتشفنا ان الباب هو من فعل ذلك تحول البكاء والهلع الى ضحك هستيري أجزم ان تلك اللحظة صنعت منا جميعا أشخاصا اخرين.**

**استطعت بعدها ان اتخلص من أطنان الخوف والقلق وبت سعيدة بحالات الثبات التي استسلمنا لها لكن الغريب أن المدينة كلها بدت وكأنها ارتطمت بباب سطحنا المغلق واستسلم الناس للحرب وعادوا الى إقامة احتفالاتهم في الشوارع وصرنا ننام على صوت فنانات شعبيات ونتبادل واخوتي ساخرين أسماء أغاني نتمنى سماعها.**

**انتهت صدمة الحرب فجأة وتحول الامر الى واقع مر علينا معايشته.**

**حصلت بعدها على عمل في صلب الحرب وجدت نفسي امام الضحايا وجه لوجه.**

**كان العمل الحقوقي مؤذيا جدا اذ كان كل ما علي فعله هو جمع الشهادات وكتابة التقارير وارسالها ثم العودة الى المنزل بكل تلك القصص الظالمة والنوم معها لقد كان هذا فظا ومخيفا ومجحفا ان استدير واعود الى المنزل.**

**ثم اعتدت بعدها ان ابكي على رصيف المستشفى داخل سيارتي اتقيأ في احد الزوايا اذهب للحمامات وانتحب.**

**لقد اقتربت شعرة ما في رأسي ان تنقطع لم اعرف هل سأجن أم سأموت لو حدث وانقطع ذلك الشيء الذي اشعر به مشدودا في جمجمتي.**

**حتى جاء ذلك اليوم الذي دخلت فيه الى مستشفى حكومي متسللة بدون تصريح للقاء ضحايا صيادين قصفهم الطيران ، دفعت باب الغرفة الخطأ ودخلت الى غرفة فيها شاب أسمر لديه نصف جسد ووجه محروق.**

**لقد كانت اول مرة أرى فيها شخصا محروقا محتفظا بوسامته وجلاله فتحت دفتري وعرفته على نفسي وبدأت اسئلتي وفي منتصف الحديث اكتشفت انني في غرفة جندي بائس مات كل رفاقه وتحولوا لأشلاء.**

**مقابلة الجنود لم تكن مجدولة في اعمالنا ، كنت اريد الهرب خوفا من ان يتم اتهامي بجمع معلومات ما وكان هو وحيدا لدرجة لم تسعفه فيها دموعه و أظن انه كان بحاجة الى الحديث والحديث ففط حتى الى تمساح او اي مخلوق فضائي.**

**لا اصدقاء ولا رفاق ولا عائلة تسانده وددت لو واسيته او خففت عنه اوحتى ابتسمت لكن قلبي كان راجفا وجبانا.**

**كان مهذبا جدا وشكرني على مجيئي وطلب مني بعيون محتقنة بالدموع ان اعود لكني بالطبع لم أعد( غبية )**

**من يومها افترسني الندم .. و كنت وجبته اللذيذة.**

**تذكرت كل من مررت بهم ولم أبكي معهم تغير شيء ما في داخلي و في مواجهة الاحداث صارت عاطفتي هي المتحكم الوحيد ومنحت عقلي واشاراته وتوجساته اجازة مدفوعة.**

**وكان لهذا عواقب عديده لكن جميعها افضل من أترك شخصا وحيدا خلف ظهري.**

**ريما هذا التأثير الاصدق والاقوى للحرب.. نحن جميعا في حفرة واحدة ومن الظلم ان نفكر ان ننتقل الى حفرة اخرى بدون ان نشبك ايدينا سويا.**

**لماذا لا افكر بمغادرة هذه الحفرة المظلمة.**

**لنفس الفكرة ..**

**نغادر سويا للابد او نبقى جميعا سويا وللأبد أيضا.**